القرآن والسنة وأثرهما في صنع أمة الإسلام

الأستاذ الدكتور / مصلح سيد بيومي

عميد كلية أصول الدين والدعوة

القرآن الكريم هو : كلام الله تعالى الذى نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ لينقذ البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الغى إلى الرشد ، ومن الظلم إلى العدل . . . . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة ١٥ — ١٦

ولعظم هذا القرآن أنزله المولى على رسوله ﷺ فى أعظم ليلة خلقها البارى سبحانه وتعالى ألا وهى ليلة القدر المباركة « بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وأنزله أيضاً فى أعظم شهر ألا وهو شهر رمضان المعظم . (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) . على قلب أفضل نبي ورسول ألا وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام .

والقرآن معجزة الإسلام الخالدة (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء ٨٨

وإعجاز القرآن الكريم فى كل وجه من الوجوه المختلفة .

منها : فصاحة ألفاظه، وبلاغة أساليبه (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود آية ١

ومنها : اتساق آياته على كثرتها (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) سورة النساء آية ٨٢ ..

ومنها : أنه أخبر بوقائع ماضية ، ووقائع مستقبلة وتحقق ذلك « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » سورة هود آية ٤١ ..

ومنها : أنه يؤثر في النفوس « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » سورة الزمر آية ٢٣ ..

ولأهمية القرآن الكريم أعلن النبي ﷺ قوله فيما رواه الترمذى عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ستكون فتن كقطع الليـــل المظلم ، فقلت : وما المخرج منها يارسول الله ؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجبا ، يهدى إلى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » . ولم يستطع العرب رغم قوة معارضتهم أن يسحروا أحاسيسهم فقد سمع الوليد بن المغيرة بهذا القرآن فأعجب به أشد الإعجاب وأعلنها صريحة مدوية لأبى جهل حينما ناقشه حول القرآن :

« وماذا أقول ؟ فوالله مافيكم رجل أعلم بالشعر منى ، ولا برجزه ، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى تقول : ـ يعنى القرآن ـ شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة . وإن عليه الطلاوة . وأنه مثمر أعلاه مغدق أسفله . وأنه يعلو ولا يعلى عليه . وأنه ليحطم ما تحته »(١) .

وفضل القرآن الكريم ليس على العرب وحدهم ، فإن العالم أجمع جنى كرم الثمرات من هذا الكتاب العظيم، ذلك أن تعاليمه أعادت بناء الإنسانية من جديد وأزالت ماخلفته القرون الأولى من عوج فى عقلها وفؤادها .

والوجهة التى انساق إليها العالم من ظهور القرآن هى التى أنشأت المنطق الحديث وحررت أساليب المعرفة ، وأمكنت من السيادة على الكون .

ولولا ماشرع القرآن من طرق النظر الصحيح والعمل الطيب لظل العالم يتدحرج مع خرافات الرومان والفرس حتى يبلغ الحضيض .

ولكنه الله برحمته وبره أنقذ البشرية من هذا المصير المظلم وذلك بنزول القرآن على قلب النبى ﷺ(٢) .

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً » سورة الإسراء . .

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن السيوطى جـ ٢ ص ٧١١

(٢) الإسلام والطاقات المعطلة للشيخ الغزالى ص ٨٥

حسناً . ماكثين فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً : ما لهم به علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » سورة الكهف آية ١ — ٥

ولقد أوصى الله تعالى بتلاوة كلامه ، والعمل به ، وتطبيق أحكامه .

« إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم الله أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور » فاطر آية ٢٩ — ٣٠

كما أوصى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »(١) .

ولقد تلقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن بشغف شديد حتى كانت له ثمرة في حياتهم . (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) سورة الأحزاب آية ٢٣

ومن الرجال الذين صنعهم القرآن الكريم وأصبحوا سادة بعد أن كانوا عبيداً بلال بن رباح ، وخباب بن الأرت ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ... وغير هذا كثير من سادة العرب الذين صنعهم القرآن لتحمل المسئولية . وعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر فيما قاله تعـــالى : (الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) سورة العنكبوت آية ١ — ٢

---

(١) الترهيب والترغيب المنذري جـ ٢ ص ٣

عن الشعبي قال : دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه وقال : ماعلى الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد ، قال له خباب: من هو ياأمير المؤمنين؟ قال : بلال : فقال له خباب: يا أمير المؤمنين ماهو بأحق مني . إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد يمنعني فقد رأيتني يوماً أخذوني وأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري فما أتقيت الأرض إلا بظهري قال . ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص)[١] .

ولقد بلغ من صنع القرآن لهم أن وصلوا إلى درجة الإيثار .

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) سورة الحشر آية ٩

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري « إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ماكان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد وأنا منهم »[٢] .

ولكن خلف من بعدهم خلف انحرفوا عن كتاب الله وسنة رسوله فتعرضوا بذلك للضياع والشقاء والدمار .

وصدق الله العظيم إذ يقول : « فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلايضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٦٥

(٢) صحيح الإمام مسلم ج ٧ ص ١٧١

أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى »(١) .

ولهذا جاء : ضمن الله لمن قرأ القرآن ، وعمل فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة — وتلا الآية(٢) .

وقال تعالى أيضاً : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » سورة الروم آية ٤١

يقول العالم المسلم ابن كثير : أى أن النقص فى الزروع والثمار بسبب المعاصى .

وقال أبو العالية : من عصى الله فى الأرض فقد أفسد فى الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولقد جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود : « لحد يقام فى الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا » والسبب فى هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطى المحرمات ، وإذا تركت المعاصى كان سببا فى حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب(٣) .

ولا عجب فى ذلك فقد قال تعالى فى محكم تنزيله : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقـــوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » سورة الأعراف .

---

(١) سورة طه آية ١٢٣ — ١٢٧

(٢) تفسير القرطبى جـ ١١ ص ٢٥٨

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٢٥

وعلى هذا فإذا أراد المسلمون خاصة والناس عامة أن يعيشوا فى أمن وسلام وعزة وكرامة وسعادة فعليهم بالرجوع فورا إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : — « ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » سورة النساء آية ٥٩ .

قال الإمام ابن كثير فى تفسيره عقب قوله تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » قال مجاهد وغير واحد من السلف : أى إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شىء تنازع فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى « إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . . » أى ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم « إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ...» فدل ذلك على أن من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فى ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر .

وقوله تعالى « ذلك خير » ... أى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والرجوع إليهما فى كل النزاع خير وأحسن تأويلا أى أحسن عاقبة ومآلا(١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨

طريقة القرآن فى معرفة الله تعالى

لقد وجه القرآن الكريم أذهان الناس وحواسهم وذلك بالتأكيد على النظر فى الكون وما فيه — ليصل بذلك إلى الإيمان الصحيح — معتمدا فى ذلك كله على الفطرة السليمة . والفطرة الإنسانية التى تستشعر الضعف أمام القوى الهائلة التى تشهدها أو تحسها فى الطبيعة ، وقد تكون هذه الفطرة نائمة فتستيقظ على ضرر يصيب المرء أو منفعة كبيرة تحصل له أو تنبه خطير يراه فى الطبيعة أو تأمل واع لمخلوقات الله فى الكون ، يقول القرآن منبها على هذا المعنى (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). الروم ٣٠ .

ويخاطب القرآن هذه الفطرة منبها لها (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) الطور من ٣٥/٣٦ :

ويقول أيضاً (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) يونس ١٢ .

هذه الفطرة السليمة هى التى تتوجه إلى الكون بروح متفتحة تكتشف ما فيه من قصد وتصميم وإبداع فتؤمن أن من ورائه مبدعا خالقا عظيما وقد بين القرآن هذا الذى يحدث بقوله (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) آل عمران ١١٠

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة ١٦٤ .

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) . فصلت ٣٧ .

(فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم) . الواقعة : ٧٥ : ٧٦ .

فى هذه الآيات وآيات كثيرة أخرى يزخر بها القرآن الكريم نتلمس الطريقة الصحيحة للوصول إلى إثبات الله ومعرفته ، هذه الطريقة تتلخص فى النظر فى الكون وما فيه من أفلاك تسير فى نظام عجيب ، وفى الطبيعة الحية إلى الكائنات الحيوانية والنباتية ، وأخيراً فى الإنسان ونستطيع أن نسير خطوات بقدر ما يسمح لنا المجال مع الإعجاز الالهى فى خلقه وتنظيمه للأكوان ،

لو أنا لاحظنا ملاحظة علمية متدبرة عالم الفلك ومافيه من نجوم تدور حول نفسها أو سيارة حول غيرها وقدرنا عدد هذه النجوم وأحجامها وأبعادها لاستطعنا أن نفهم قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) .

فاعداد النجوم تصل فى الضخامة إلى حد لا يستطيع العقل البشرى أن يتصوره لأنها تتجاوز آلاف الملايين ، وأحجام النجوم هائلة جدا لا تستطيع مقاييسنا التى نستعملها فى كوكبنا الأرضى أن تحيط بها وأن مقارنة سريعة بين حجم الأرض وحجم أفلاك أخرى كالشمس والجوزاء ، وهى تتجاوز حجم الأرض بملايين المرات لتدل على صدق ما نقول .

أما أبعاد النجوم والمسافات التى تفصل فيما بينها فانها تصل من العظمة إلى حد لا تستطيع أن تقدره إلا بوحدة قياسية جديدة تتناسب مع ضخامة هذه الأبعاد .

فقد أصطلح على أن تكون الثانية الضوئية أى المسافة التى يقطعها الضوء فى ثانية واحدة وحدة القياس فى أبعاد النجوم، وإذا علمنا أن الضوء يقطع فى ثانية واحدة، (١٨٦) ألف ميل وعلمنا أن البعد بين بعض النجوم يصل إلى ملايين السنين الضوئية فإننا ندرك مقدار ضخامة هـذا الكون وعظمته .

هذه الأفلاك تسير فى نظام لا يختل أو يضطرب آلاف السنين بل ملايين السنين وهذا يدلنا على أن الكون لا يمكن أن يكون نتيجة الصدفة بل هو مخلوق من خالق عظيم لا تحيط عقول البشر بقدره وإعجازه .

وإذا انتقلنا إلى الحياة فى الكائنات الحية وإختلافها من بعضها وأجناسها وأشكالها المتعددة فإننا نضيف إلى معرفتنا بإعجاز الخلق معرفة جديدة كما يمكن لنا أن نتصور معنى الآية الكريمة (إن الله فالق الحب والنوى، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فإنى تؤفكون) فالحيوانات التى لا يقع لعدد أجناسها حصر والتى تخرج من النطفة وأشكال النبات التى لا يتصور عددها وتخرج من أرض واحدة وتسقى من ماء واحد، كل ذلك أليس دليل على التدبير والقصد والنظام (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

أما الإنسان فإنه أكثر هذه الكائنات إعجازا فى الخلق ودلالة على قدرة الله ووجوده، ولو أننا حاولنا التعرف على طبيعة إختلاف التكوين الجسمى والجنسى وسبب تنوع الاستعدادات الوراثية والمكتسبة لوجدنا أنها تعود إلى الخلايا الجنسية .

هذه نظرية سريعة فى الدلالة العقلية الصحيحة على وجود الله وقدرته

كما أرشدنا إليها القرآن الكريم ، ولابد لنا بعد ذلك من أن نستعرض أهم النتائج التي تترتب على هذا الإيمان بالله القادر الخالق الذي يعنى بالكون وبرعاه : هذا الإيمان الذي كان نتيجة لمعرفة الله عز وجل وذلك بحسب توجيه القرآن الكريم للبشرية .

النتائج التي تترتب على الإيمان بالله وتوحيده كثيرة وهامة فى سلوك الأفراد والمجتمعات . ومن أهمها :

١ — تحرير الإنسان من العبودية لغير الله والخضوع لسواه :

لذلك يقول القرآن (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) . آل عمران ٣٠ .

وحتى يكون التحرر من الخضوع لغير الله كاملا فإن القرآن ينفى شبهة القداسة عن أى فرد من الناس حتى ولو كان رسولا نبيا (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) . آل عمران ١٤٨ .

وقد خاطبه القرآن بقوله (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) آل عمران ١٢٨ فالملك كله لله والأمر كله له .

٢ — تحرير النفس الإنسانية من سيطرة الغير والخوف منه : — لأن أولئك الذين يخشونهم لا يملكون ضررا ولا نفعا (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يونس ١٠٧ .

(ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) الفرقان ٣ .

وإذا تحررت النفس من الخوف من الغير فإنها تتحرر من الذل والعبودية والخضوع لغير الله والانسان قد يذل لغيره خوفا على حياته أورزقه او جلبا للمنفعة ودفعا، للمضرة وقد بين القرآن أن المنفعة والمضرة بيد الله كما أن الحياة والموت والرزق بأمره (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) النساء ٧٨ (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا) آل عمران ١٤٥/ (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) آل عمران ١٥٤ .

والرزق أيضا كالموت والحياة هو بيد الله لا يخاف الانسان عليه من أحد سواه (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) العنكبوت ٦٢ /(وما من دابه فى الأرض إلاعلى الله رزقها هود ٦ .

٣ — ثم أن عقيدة التوحيد والايمان بالله تملاء النفس طمأنية وسكينة وثقة بالله وترفع من قوى الإنسان المعنويه وتدفع عنه اليأس والقنوط فالمؤمن متفائل أبدا واثق من نفسه ومن نصر الله (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا أيمانا مع ايمانهم)الفتح ٤ . (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يونس ٩.

٤ — وأخيرا فإن هذه العقيدة تجعل ضمير الإنسان يقظا مراقبا لله فى كل ما يعمل أو يفكر لأنه يعلم أن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وأنه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور »(١) .

---

(١) أضواء على الثقافة والنظم الإسلامية محاضرات بالاشتراك مع الدكتور رشدى عزيز .

التعريف بالسنة ووجوب العمل بها

إن إهتمام الصحابة والتابعين .. بالسنة النبوية الشريفة لايقل عن اهتمامهم بالقرآن الكريم . ذلك لأن السنة هى المصدر الثانى لشريعة الإسلام وعلى هذا كان الهجوم على السنة من المستشرقين والمبشرين وغيرهم من أعداء الإسلام لايقل خطرا عن الهجوم على القرآن الكريم .

إذا كان الأمر كذلك فلا بد من معرفة شىء عن تاريخ السنة لنتبين قيمة الاهتمام بها والحفاظ عليها من الصحابة والتابعين وغيرهم .

السنة :

هى فى عرف المهتمين بهذا الفن عبارة عن ما أضيف إلى النبى ﷺ ولو حكما من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو نحو ذلك مما يتصل بهداية الناس إلى مافيه سعادتهم فى الدارين .

ومثل هذا أو قريب منه الحديث ، والخبر ، والأثر . . والسنة اعم(١) قال تعالى: «يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»(٢).

وقال ﷺ : نضر الله وجه امرىء سمع مقالتى فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع(٣).

وقال أيضا : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتى» وقال : أن انى أرتيت القرآن ومثله معه ، إلا يوشك رجل شبعان

---

(١) قانون الرواية عند المحدثين للأستاذين محمد سيدنا ، والسيد محمد الحكيم الطبعة الأولى صـ ٥

(٢) سورة الانفاق آية رقم ٢٤

(٣) رواه أبو داود والترمذى عن زيد بن ثابت .

على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وأن ما حرم رسول الله كما حرم الله(١) .

وقال بعض العلماء :(٢)

حدث وشنف بالحديث مسامعي	فحديث من أهوى أحل مسامعي
لله ما أحلى مكرره الذي	يحلو ويعذب في مذاق السامع
بسماعه نلت الذي أملته	وبلغت كل مطالبي ومسامعي

وقد بينت السنة النبوية كيف كان الرسول الأمين يعلم الأمة ويربيهم على نهج سليم وتربية فريدة .. أتى إليه يوما فتى من قريش قائلا له : يارسول الله ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا مه مه .. فقال أدنه فدنا منه قريبا ... فقال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك . قال ولا الناس يحبونه لبناتهم — ثم ذكر له رسول الله أخته وبنته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك — قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، قال الراوي فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء(٣) .

واذا كان عليه الصلاة والسلام حريصا على تعليمهم فقد كان الصحابة وغيرهم أيضا حريصين على تلقي هذا العلم ، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كنت

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب .
(٢) قانون الرواية عن المحدثين ص ٦ ، ١١
(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي — طبع القدسي بالقاهرة ١٣٥٢ هـ عن أبي أمامة الباهلي جـ ١ ص ١٢٩ . رجاله رجال الصحيح وقد رواه الطبراني في الكبير

أنا وجار لى من الانصار فى بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله .. ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره . واذا نزل فعل مثل ذلك(١) . . فكان الواحد منهم يثق فى أخيه ولا يكذبه ولا يدرون ما الكذب .

وهكذا حتى لقى الرسول ربه والقرآن قد ثبت فى الصدور والسطور أما السنة فقد ثبتت فى الصدور لنهى النبى ﷺ عن كتابتها فى أول الامر خوفا من الالتباس بالقرآن الكريم مثل قوله ﷺ: «لا تكتبوا عنى شيئا الا القرآن ومن كتب شيئا فليمحه»(٢) .

اللهم الا القليل بالنسبة لما قاله النبى ﷺ . مثل ما حدث لابى شاه اليمنى وقوله ﷺ فى شأنه : «اكتبوا لابى شاه»(٣) .

وما كان من أمر الرجل الانصارى الذى كان يجلس الى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك الى الرسول . . فقال («استعن بيمينك وأومأ بيده الى الخط)(٤).

وهكذا أخذت السنة تكثر كتابتها خاصة فى آخر البعثة النبوية . وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقعت أحداث جسيمة فى الامة الاسلامية مثل حروب الردة ومقتل سيدنا عثمان ، ومعركة الجمل وصفين ، وظهور الخوارج ، والشيعة .. الخ .

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ ١ ص ١٩٥

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى

(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

(٤) أعلام المحدثين للدكتور محمد أبو شهبه صـ ١٧ والحديث الشريف رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه

مما نتج عنه افشاء الوضع فى السنة المطهرة . يقول الدكتور السباعى: كانت سنة أربعين من الهجرة هى الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع ، وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الاغراض السياسية والانقسامات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين على ومعاوية شكلا حربيا سالت به دماء وأزهقت منه أرواح،وبعد أن انقسم المسلمون الى طوائف متعددة الى آخر ما قال مبينا الامور التى أدت الى الوضع فى السنة مثل : الخلافات السياسية والخلافات الفقهية والكلامية والجهل بالدين مع الرغبة فى الخير والتقرب للملوك والامراء بما يوافق أهواءهم .

ليس هذا فقط بل أن تساهل حكام المسلمين مع الوضاعين فى السنة شجعهم على المضى فى تضليل المسلمين . وخلطهم المصدق بالكذب .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..(١) اما عن حركة الوضع وأثرها السيء فى المجتمع الاسلامى وما يتصل بذلك فليس هنا مجاله . المهم أن العلماء المخلصين تصدوا للدفاع عن السنة المطهرة وتنقيتها من الشوائب التى لحقت بها مما جعلهم يتشددون فى أخذ الحديث ويظهر هذا من قول ابن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا:سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم الى آخر ما قيل فى ذلك مما هو مبسوط فى موضعه(٢) :

هذه السنة النبوية الشريفة التى تحدثنا عنها يجب اتباعها وذلك بالادلة القرآنية والأحاديث النبوية فيما يلى :

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى ص ٧٦ — ٨٨

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تأليف الاستاذ أحمد شاكر ص ٨٠ وما بعدها ومقدمة صحيح مسلم

أدلة القرآن الكريم :

(أ) قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

(ب) وقال تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

(ج) وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

(د) وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .. الخ .

أدلة السنة النبوية :

(أ) قال رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع : (ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى الله أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، انى تركت فيكم ما أن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى »

(ب) وقال ﷺ : فيما رواه البخارى عن أبى هريرة : « كل أمتى يدخل الجنة الا من أبى . قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ .

قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

(ج) وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذى عن زيد ابن ثابت : (نضر الله وجه أمرىء سمع مقالتى فحفظها ووعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وفضلا عن أدلة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة على وجوب

العمل بالسنة فهناك الكثير من أدلة الفقهاء الدالة على ذلك أيضا ومن أمثلة ذلك ما ذكره الامام الشافعى فى كتابه « الرسالة » يقول الامام الشافعى رضى الله عنه : وقال تبارك وتعالى : « أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

وقال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »

وقال : وأتموا الحج والعمرة لله .

ثم بين على لسان رسوله — ﷺ — عدد ما فرض من الصلوات ومواقيتها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها وكيف عمل الحج والعمرة .

وقد كان رسول الله ﷺ يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كان يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها وافتتاحها وترتيب حركتها بعد الافتتاح ويقول ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

ويبين أيضا ﷺ « مناسك الحج : أركانه وواجباته وسننه ويقول : « خذوا عنى مناسككم » .

الى غير ذلك من الامور التى تحتاج الى بيان من النبى ﷺ .

الدكتور

مصلح سيد بيومى

عميد كلية أصول الدين والدعوة